لقد ضللنا الطريق

نحن اليوم فى دور نهضة علمية وأدبية نأمل أن نجنى ثمارها . ونقطف أزهارها . ونتفيأ فى وارف ظلالها والنهضة فى كل مرفق من مرافق الحياة إذا لم تقم على أساس متين محكم . ومبدأ معين . وهدف مقصود وغاية سامية . لابد وأن تكبو كبوة لن تثور الأمة بعدها أو تتخلص من شرها . لأنها نهضة جوفاء فارغة لم تقم على تبصر فى العمل وتدبر فى السير . وإنما قامت على التشبه والتقليد الذى لم يحسن صنعه ولم يحكم تقليده . فكان الأنهيار مصيره إن عاجلا أو آجلا .

إن تقليد الشعوب العربية والإسلامية للغرب فى التزويق والبهرجة الكاذبة الخادعة أخذ يتقلص شيئاً فشيئاً وهو اليوم فى طريق انكماشه وانقطاعه لأنه لم ينتج إلا شراً ولم يحدث إلا تحللا فى الدين واللغة والخلق الفاضل والعادات الكريمة الموروثة . فنهض هؤلاء الدعاة إلى الإصلاح فى العقيدة واللغة والعادات . وأدركت الشبيبة المسلمة فداحة الخطب وما يحاك لها فى الخفاء فأخذت تلتف حول الدعاة المصلحين .

ومن المؤسف له حقاً أننا فى الكويت انطبعنا بطابع التقليد الصادر عن عدم تبصر أو تمحيص أرسل بعض الأفاضل أبناءهم إلى (فكتوريا) لأنهم خدعوا بما يسمعونه عن تربيتها فما كان من الآخرين إلا أن ارسلوا أبناءهم إليها كذلك ، ولو سألنا كلا من السابق واللاحق عن المواد التى يتلقاها ابنه فى هذه المدارس . والمناهج التى تلقى عليه . وعن نوع التربية التى تعطى له . والطابع الذى تحاول (فيكتوريا) أن أن تطبعه به . . . لما أستطاع أن يجيب . . .

لا . . لا . . أيها الآباء الأفاضل نريد منكم أن تدرسوا كل خطوة تخطونها لأبناءكم قبل أن تزجوا بهم إلى هذه المعاهد التبشيرية الناسخة لعقولهم وأرواحهم الإسلامية .

يحز فى نفسنا كما يحز فى نفس كل وطنى مخلص . ومسلم غيور على دينه ووطنه أن نرى أطفالنا الذين كنا نعقد عليهم آمال المستقبل القريب . وقد دفعوا إلى معاهد تبشيرية لها أهدافها وأغراضها فى نشر ثقافتها . ولم تنشأ إلا لرسالة خاصة وأهداف معينة مرسومة . ولقد كتب المصلحون كثيراً فى شأن هذه الحضارة التبشيرية . وحذروا الأمة الإسلامية من حقنها الشريانية . التى تميت الأرواح وتبيد العواطف . وتود لو فتحت أبوابها على مصراعيها لكل طفل مسلم . ولكن خشيت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها . فجعلت على كل طالب رسوماً ومصاريف لإبعاد الشبه التى تحيط بها . فاقتنصت بذلك عصفورين بحجر واحد . عقول وأرواح تنسخها . وأموال تستغلها فى إنشاء مؤسساتها التبشيرية تحت اسم مدارس ومستشفيات . ولو كان هؤلاء الأطفال بلغوا السن التى يدركون فيها حقيقة دينهم وعقيدتهم . وانطبع فى نفوسهم وأرواحهم الاعتزاز بلغتهم وعاداتهم الكريمة الموروثة . لو بلغوا ذلك لهان الأمر وسهل الخطب.ولكنهم دفعوا إلى هذه المعاهد المتسممة وعقولهم لا زالت طرية لينة فارغة . مستعدة لأى عقيدة تلقن لهم . وأرواحهم قابلة لانطباعها بأى طابع وانصباغها بأى صبغة . ولذلك قال علماء التربية والأخلاق إن عقل الطفل مرآة تعكس ماحولها.

فى هذه السن يكون الطفل فى أشد الحاجة إلى حنان الأمومة ورعاية الأبوة . وفى هذه السن التحويل الخطير فى عقيدة الطفل وطباعه وأهدافه وغرائزه وميوله الجنسية . وليست هناك تربية تستطيع أن تسيره السير الطبيعى الذى يجب أن يكون إلا حنان الأمومة وقوة تأثيرها عليه . ورعاية الأبوة ومالها من التوجيه الذى لن يخلو من الاصلاح مهما كانت تربيته له . لأن الابن بضعة من أبيه يؤلمه ما يلمسه من ابنه من ضعف فى المسلك أو اعوجاج فى العقيدة أو انحراف فى الخلق . فاذا تعاون الأبوان فى الإصلاح العقيدى والخلقى

للطفل . وأدت المدرسة رسالتها فى الإصلاح الفكرى والعلمى بهذا وذاك نستطيع أن نخلق جيلا جديداً صالحاً فى عقيدته وخلقه وميوله . سليما فى عقله وتفكيره وإنى لا أشك أن الأبوين أحرص الناس محافظة على سلامة عقيدة ابنهما الدينية وخلقه .

إن الجامعة (الامريكية) و(فكتوريا) و(الليسيه فرنسيه) و (مدارس الجزويت الفرنسية) لا تقيم أى اعتبار لعقيدة طفلنا المسلم حينما يعيش فى جوها الاجنبى فى دينه ولغته ونزعاته وميوله . . . استغفر الله . . . بل إن هذه المعاهد لم تنشأ فى الشرق العربى وبين صفوف المسلمين إلا لتهتم كل الاهتمام بعقيدة طفلنا المسلم .

ولكن لتمتها وهى فى مهدها . وتقضى على بذورها قبل أن تمتد جذورها . وكما قلنا إن للطفل عقلية كالمرآة تعكس ما حولها . وله روح تتمغطس بالجو الذى ينشأ إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً . والطفل ينشأ فى أسرة تستحسن أعمالا وتستقبح أخرى فيتبعها فى استحسانها من استقباحها . ولذلك سينشأ طفلنا فى فكتوريا هيكلا بجسمه لا بروحه اللهم إلا ما التقطه من الكاثوليكية . . والأبروستنتينية . والأرثوذكسية يستقبح ما يستقبحون ويستحسن ما يستحسنون .

لقد تفطر قلبى كمداً وألماً حينما اجتمعت بهؤلاء الأطفال فى يوم ما عند زيارتهم للقاهرة . وقد تعمدت أن أجس نبضهم وألمس مدى ما فى نفوسهم من عقيدة الاسلام . والطفل فى هذه السن لابد وأن يدرك أن دينه الاسلام وأن الله واحد لا شريك له . وأن محمداً صلوات الله وسلامه عليه نبيه . وأن القرآن كتابه . . ولكن وليت الكلام كان خاليا من ولكن . . . سألت أحدهم وأعتقد أنه أذكاهم . فقلت له ما دينك فأخذ يرسم لى بأصابعه . فلم أفهم ما يريد ويقصد . لأنها لغة جديدة علينا . فلم نسأل يوما ما طفلا مسلما فيرسم لنا دينه بأصابعه . وإنما يقول . دينى الاسلام . وربى واحد . ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم . وكتابى القرآن وبعد تحر وتفكير وتحقيق . تبين أن دينه الذى يرسمه لى بأصابعه هو شباك قبل الرسول . هذا هو الإسلام الذى فهمه طفلنا المسلم فى (فكتوريا) ويا للأسف ، لماذا ؟ لأن القس الذى لايقسمون إلا به وبحياته . أفهمهم أن الاسلام هو الشباك الحديدى المضروب حول قبر الرسول هذه هى عقيدة الاسلام التى غرسها فى عقولهم ونفوسهم وأرواحهم . . . أبوهم القس . . . الذى عنده ينتهى الإيمان . . فقلت له وأى دين تفضل . . . قال لا فرق بين الاسلام وبين . . . وهو يرسم لى صليبا بأصابعه . لأنه أولع بحب الصليب الذى لاينام إلا وهو فوق رأسه يحرسه . ويشاهده فى كل أرجاء مدرسته . ويتمتع برؤيته حينما يأخذهم (أبوهم القس) إلى الكنيسة فى إحدى زوايا المدرسة ليؤدون الصلاة . التى من أجلها أنشئت هذه المدارس ومن أجلها أوقفت الاموال الطائلة والمنشآت الضخمة على هذه المؤسسات لتفتك فى عقيدة طفلنا المسلم وروحه .

أيها الآباء الأفاضل إنكم مسؤولون أمام الله فارعوا حرمة دينكم ولغتكم التى نزل بها القرآن إتقوا الله فى أبناءكم يقول عليه الصلاة والسلام (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع) (لان يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع)

وهناك ظاهرة مخيفة لايقل خطرها عن سابقتها . هناك هذه الرطانة التى محت ونسخت لغة آباءهم وأجدادهم فلا يتكلمون إلا بها . أما لغتهم فعليها العفاء . إنها ظاهرة طبيعية ما داموا يترعرعون وهم أطفال صغار بين جدران هذه المعاهد التى يعلم الله أنها لم تنشأ حباً للاسلام والمسلمين .

وأما التفسخ الخلقى بين أبناء هذه المعاهدالأجنبية فهى ظاهرة ليست بغريبة على من عاشوا فى محيطها ولذلك نجد الطفل المستجد يستنكف منها . ولكن سرعان ما يندمج فيها . ويصبح المرض لديه شيئاً طبيعياً وأنه من أخطر الخطر وأشده على حياة الطفل وهى فترة المراهقة . فهى الفترة الحاسمة فى حياته . وإنى أخشى على أبناءنا من هذا الداء المتفشى فى مدارس الأجانب بصورة مريعة ، وخير للطفل أن يترعرع بين أمه وأبيه ويتلقى العلم فى وطنه . وبعد أن يبلغ سن الرشد ويستكمل عقله . وينضج تفكيره . وينطبع بطابع دينه

(البقية على صفحة ١٥)